استعراض تاريخ تعليم اللغة العربية في الصين واستطلاع حالته الراهنة - نموذجَ مقاطعة يوننان

تشينغ شي تينغ

المخلص

البحث المقدم هو بحث عام عن تعليم اللغة العربية في الصين، والنموذج مقاطعة يوننان، يستهدف معرفة التطورات التاريخية لعملية تعليم اللغة العربية في الصين وخاصة مقاطعة يوننان، واستقصاء أحوالها في الوقت الراهن، ووضع الخطط والاقتراحات لها في المستقبل.

تقع مقاطعة يوننان في جنوب غرب الصين، وبدأ تعليم اللغة العربية فيها مع دخول الإسلام في القرن الثالث عشرالميلادي في عهد أسرة يوانغ، وكان مقتصرا على التعليم في البيوت في ذلك الوقت. ثم نهضت الكتاتيب في المقاطعة في عهدي مينغ وتشينغ من القرن الرابع عشر إلى التاسع عشر الميلادي بفضل اليقظة التي شهدها المسلمين الصينيين على يد الإمام هو دنغ تشو. دخلت اللغة العربية المدارس الحديثة في أوائل القرن العشرين تزامنا مع ثورة شين هاي، وحركة الرابع من مايو، تدرس اللغة الصينية و اللغة العربية والدين الاسلامي في تلك المدارس الابتدائية والثانوية الإسلامية، وقد أعدت هذه المدراس الكثير من الرواد في مجال تعليم اللغة العربية في الصين، منهم أستاذ محمد مكين، وأستاذ عبد الرحمن ناجون، وأستاذ ناشون وكلهم من مقاطعة يوننان. بحلول القرن العشرين، وبعد عودتهم من جامعة الأزهر، ساهم هؤلاء العلماء الشباب في إصلاح نظم ومناهج تعليم اللغة العربية في يوننان ليجعلها لغةً أكثر حيوية.

أما فيما يخص الوضع الحالي لتعليم اللغة العربية في يوننان، فهناك الآلاف من الطلاب الذين يدرسون اللغة العربية في المقاطعة ويرجع ذلك إلى بعض الأسباب التاريخية، والدينية، ورغبة البعض في الحصول على فرصة العمل. تعلّم اللغة العربية في جامعة يوننان النموذجية، ومعهد الآداب و العلوم بجامعة يوننان النموذجية، والمعهد الإسلامي بمدينة كونمينغ وأفراعه الثلاثة وعشرات المدارس المهنية للمسلمين في يوننان. على الرغم من التاريخ العريق لتعليم اللغة العربية في المقاطعة، والعدد الكبير من الطلاب والمدارس فيه ، إلا ان المقاطعة تواجه بعض التحديات الجديدة في هذا المجال، منها تخلف نسبة عالية من الطلاب عن الدراسة، ونقص الأساتذة وعدم الدعم من الحكومة المحلية وغيرها من الأسباب. يقدم الباحث ثلاثة اقتراحات: العمل على تعزيز التعاون بين الجامعات والمعاهد وتقليص الفجوة من مختلف المناطق الصينيّة، إعداد مواد دراسية متنوعة تتناسب مع الخلفية الثقافية المختلفة للطلبة من المناطق المختلفة، وإعداد الكفاءات تماشيا مع سياسة الوطن، واحتياجات الطرفين الصيني والعربي لها.

كلمات المفتاح: تعليم، اللغة العربية، الصين، يوننان.

إن هذا البحث هو بحث عام يهدف إلى التعرف على وضع تعليم اللغة العربية في الصين، والنموذج مقاطعة يوننان ،يتطرق إلى تطوراته التاريخية، ويستقصي أحواله في الوقت الراهن، ويضع الخطط والاقتراحات له في المستقبل.

الدراسات السابقة

يتناول الكتابان وعدة البحوث والرسائل والمقالات قضية تعليم اللغة العربية في الصين.

الكتاب الأول هو ((نشر اللغة العربية في الصين تحت ظل العولمة))، بحث الدكتوراه للأستاذة وي كي روانغ في جامعة نيلين باللغة

العربية. يتناول البحث الاستراتيجيات التي يمكن نشر اللغة العربية في الصين في ظل العولمة وصراع الحضارات السائدة اليوم. يتطرق الفصل الثالث من هذه الدراسة إلى الوضع الراهن للغة العربية في الصين بين اللغات العالمية، ويلقي المقترحات لنشر اللغة العربية في الصين في النهاية من قبل الصين والدول العربية. انه يتركز على كيفية نشر هذه اللغة مع التأثر والتأثير بالعولمة، فالتعليم جزء من النشر، ليس محورها.

الكتاب الثاني هو ((تاريخ تعليم اللغة العربية في الصين قديما وحديثا))، بقلم الأستاذ دينغ جيون، وهو باللغة الصينية. هذا الكتاب هو الكتاب الأول في الصين الذي يهتم بالتاريخ لتعليم اللغة العربية وحدود الزمن يكون القرن العشرون. تعتبر هذه المائة السنة أهم المراحل لتعليم اللغة العربية في الصين، وتنقسم إلى جزأين، نصف القرن الأول، ونصف القرن الثاني. في الفصل الثاني، قد جمع المواد التاريخية الكثيرة لتطورات المدارس الحديثة الإسلامية، وإنشائها في المقاطع المختلفة، والمواد الدراسية العربية والصينية المستخدمة، وشؤون إرسال الطلاب الصينيين إلى جامعة أزهر ومساهمتهم في مجال التعليم والبحث الأكاديمي. الفصل الثالث يتطرق إلى تطور اللغة العربية في النصف الثاني من القرن العشرين في الجامعات والمعاهد، وانه يتركز على حركة التعليم، مادة التعليم، والحركة الأكاديمية. لان هذا الكتاب هو تاريخ التعليم، فلا يقوم بالاستقصاء الميدانية، بل يهتم بجمع البيانات التاريخية وتحليلها.

((اختبارات اللغة العربية في الصين واقعها وتصوراتها المستقبلية)) بقلم يه ليانغ ينغ في المجلد ٥٧، العدد ١ (٢٠١٢)، صحيفة فيلولجي النسخة العربية، هو مقال يتركز على الاختبارات لتعليم العربية في الصين. يقسمها إلى أربعة أنواع وهي: الاختبار للاستعداد اللغوي، الاختبار التشخيصي، لاختبار التحصيلي، اختبار تحديد المستوى. يشرح كل هذه أربعة أنواع معناها، ومعيارها. ويلقى التصورات المستقبلية للاختيارات الصينية. يستخدم الرسومات الإحصائية العامة بناء على العينات من جامعة الدراسات الأجنبية ببكين، لكن لم يقوم بالتحليل الدقيق لقلة البيانات. ولا شك في أن الامتحان هو جزء مهم في التعليم لقياس مستوى الطلاب، وكشف المشكلات في التعليم والتعلم، وتكييف المنهج بعد تحليل نتائجها. وهذا المقال قد أشار إلى أهمية البحث في الامتحان باستخدام الأدوات الميدانية والنظرية.

كذلك يتناول الأستاذ شوي تشينغ قوه في مقاله ((اللغة العربية في الصين الحديثة)) موضوع تعليم اللغة العربية في الصين الحديثة، هنا يقصد المرحلة منذ القرن العشرين إلى الآن. الأستاذ شوي هو بروفيسور كبير ذو خبرة في التعليم لأكثر من عشرين سنة، فيرى هذا الموضوع من عيني الأستاذ والباحث، ويضرب مثلا حيا في جامعتها جامعة الدراسات الأجنبية ببكين.

ذكر بعض البحوث والرسائل قضية تعليم اللغة العربية في الصين من منظور الثقافة والدين والقومية.

د. تشي يوان يان هي معلمة اللغة العربية في جامعة شانغهاي للدراسات الدولية ، بحثها تحت عنوان "تواجد الثقافة العربية في الصين خلال القرن العرشين " يقسم القرن العشرين إلى ٣ فترات، ففي كل فترة تتناول نشر الثقافة العربية في الصين من ٥ المجالات، وهي العلاقة الدبلوماسية، دين الإسلام، الأدب، التعليم والتربية، والفن. قد ذكرت تعليم اللغة العربية داخل مطلب التعليم والتربية. لكن هي لا تستطيع أن تتحدث عنه كاملا من أجل حدود الموضوع.

أحمد فرحات في مقاله ((في أحوال اللغة العربية في الصين الحديثة)) راجع تاريخ التبادل التجاري بين الصين والعالم العربي في الأسر المختلفة، ونشر اللغة العربية في الوقت الحديث.

من هذه الدراسات السابقة، نجد انه قد بدأ بعض الباحثين بالاهتمام بقضية تعليم اللغة العربية في الصين، خاصة بما في القرن العشرين والتي وقعت في شمال غربي الصين. ولكن قليل منهم من يراجعها منذ البداية، ونادرا ما تُستخدم أداة الدراسة الميدانية.

استعراض تاريخ تعليم اللغة العربية في الصين

يقسم الباحث تاريخ تعليم اللغة العربية إلى ستة مراحل بحسب المجتمعات الصينية المختلفة والهيئات الدراسية المختلفة التي تقوم بالحركة التعليمية. وهي من القرن الثاني إلى ١٣٦٨م، من ١٣٦٨م إلى ١٩٠٠م، من١٩٠٠م إلى ١٩٤٩م، من١٩٤٩م إلى ١٩٦٦م، من١٩٦٦م إلى ١٩٩٠م، من ١٩٩٠م إلى الوقت الحاضر.

طريق الحرير تربط الصين والشرق الأوسط منذ القرن الثاني برا وبحرا بالتبادلات التجارية الودية. ويذكر المسعودي في ((مروج

الذهب ومعادن الجوهر)) أن سفن الصين كانت تصل قبل الإسلام إلى مدينة الحيرة، على نهر الفرات في العراق، وهي عاصمة المناذرة الموالين للفرس. ويذكر ابن عبد ربه في ((العقد الفريد)) أن النعمان بن المنذر، ملك الحيرة، رأى في إيوان كسرى وفدا من الصين. أما بدأ تعليم اللغة العربية في الصين فهو بدأ مع مجيء الإسلام إلى أرضها في القرن السابع وهو التعليم العائلي في البداية. لم يظهر التعليم في المساجد أي الكتاتيب في الصين إلا بعد ١٣٦٨م، حيث اندمج الإمام هو دنغ جو التعليم الصيني التقليدي بالكتاتيب العربية، وأنشأ أول كُتَّاب صيني في مقاطعة شان شين الذي تُعلم فيه اللغة العربية. ازدهر هذا النوع من تعليم العربية في الصين بمرور مئات السنين وهو يعتبر جزءا مهما في نظام التعليم اللغوي وطنا وقوما. وهذه المرحلة تعتبر الازدهار الاول لتعليم اللغة العربية في تاريخ الصين. دخلت اللغة العربية المدارس الحديثة في أوائل القرن العشرين تزامنا مع ثورة شين هاي، تعلم في هذه المدارس الابتدائية أو الثانوية الإسلامية اللغة العربية واللغة الصينية في آن واحد، وقد أعدت الروادَ في هذا المجال في الصين، منهم أستاذ محمد مكين، وأستاذ عبد الرحمن ناجون وناتشون والخ. لم يبدأ تعليم العربية في الجامعة إلا بعد ١٩٤٣م، علم الأستاذ ناجون في الجامعة المركزية (جامعة نانكينغ الان) مواد اللغة العربية والثقافة الإسلامية. أنشئ تخصص اللغة العربية في جامعة بكين ١٩٤٦م، وكانت أول مرة تدرس اللغة العربية كتخضض في الجامعات الصينية. عينت الأستاذ محمد مكين الذي عاد من جامعة الأزهر وقبلت أفضل الطلاب في الوطن، مسلمين أو غير مسلمين. وبعد تأسس جمهورية الصين الشعبية في ١٩٤٩م، شاهدت الصين الجديدة التغيرات في شتى المجالات السياسية الاقتصادية، الدبلوماسية، وتعليم اللغة العربية لا يستثنى. انتقلت اللغة العربية من المدارس البلدية الإسلامية إلى الجامعات الحكومية والمعاهد العليا في المدن الكبرى مثل بكين، وشانغهاي لسدود حاجات الوطن المتزايدة تجارية وسياسية ودبلوماسية. فتعتبر هذه المرحلة الازدهار الثاني لتعليم اللغة العربية في الصين. تواجد في هذه الفترة تخصص اللغة العربية في ٩ جامعات ومعاهد وهي: جامعة بكين، جامعة الدراسات الأجنبية ببكين، جامعة الشؤون الدبلوماسية (انضم قسم اللغة العربية إلى جامعة الدراسات الأجنبية ببكين في ١٩٦٢م)، جامعة الاقتصاد والتجارة الخارجية، المعهد العسكري للغات الأجنبية بلويانغ، جامعة شانغهاي للدراسات الدولية ، المعهد الثاني اللغات الاجنبية ببكين، معهد اللغات ببكين، والمعهد الإسلامي الصيني. قد تأسست هذه الجامعات والمعاهد تحت رعاية رجال الوطن، فخريجونها بتخصص اللغة العربية معظمهم يعملون في المجال الدبلوماسي والسياسي، منهم السفراء والمستشارون والسكرتيرات في سفارة الصين لدى الدول العربية اليوم، والأساتذة والباحثون في الجامعات والمعاهد العليا والهيئات الأكاديمية. إن المعهد الإسلامي الصيني هو أول معهد إسلامي في الصين تابع لجمعية إسلامية الصين، ومهمتها الاولي هي تربية المواهب الدينية للمسلمين الصينيين.

لكن مع الأسف، تعاني من التوقف والرجوع في عشر السنوات للثورة الثقافية من ١٩٦٦م إلى ١٩٧٦م. وتوقف معظم التعليم والأبحاث الأكاديمية والترجمة الأدبية. حسن الحظ، برعاية رئيس الوزراء تشو ان لاى، نظمت ٥ منتديات لإصلاح تعليم اللغات الأجنبية في المجلس الدولي، فبقى بضع الحركات التعليمية في أواخر هذه الثورة. بفضل تنفيذ سياسة الإصلاح والانفتاح ، استقبلت الصين إعادة النهضة والازدهار في تعليم اللغة العربية بعد الشتاء القارس للعشر السنوات. فبدأت الصين تهتم بهذه اللغة حكومة وشعبا وقوما. الجدير بالذكر أن مدارس المسلمين في شمال غرب الصين وجبوب غربها التي أصبحت بعضها المعاهد المهنية في نظام التعليم الصيني اليوم، قد نمت بسرعة في هذه النهضة بسبب وعي المسلمين بأهمية إحياء تراثهم القومي.

بعد ١٩٩٠م، مع تكثر التواصل بين الصين والعالم الخارجي تجاريا واقتصاديا، أدركت الجامعات الإقليمية بأهمية اللغة العربية تدريجيا، فسارعت في بناء قسم اللغة العربية لتجعلها جزءا مهما من نظام تعليم اللغات الأجنبية خاصة في الموانئ الشرقية والمنطقة المأهولة بالمسلمين. وتطورت بعض أقسام اللغة العربية القائمة إلى الكليات المستقلة، مما يسهل إدارتها وحركاتها الأكاديمية. وكل هذه بيّنت اهتمام الجامعات بتخصص اللغة العربية سواء ان تكون في المدن الكبرى أو المقاطعات الإقليمية منذ تسعينيات القرن العشرين. أصبحت الصين القوة الاقتصادية الثانية بعد دخول القرن الحادي والعشرين. وفي الوقت الراهن، هناك بضع وثلاثون جامعة ومعهدا عاليا، ومئات المعاهد المهنية، وعشرة المعاهد الإسلامية في الصين التي تقوم بتعليم اللغة العربية. وهذا العدد لا يزال يتزايد كل سنة. أما آلاف الطلاب فيها معظمهم الليسانس، وعدد الماجستير والدكتوراه قليل. هناك ١١ جامعة منها تقدم برنامج الماجستير بتخصص اللغة العربية، و٣ جامعات منها، أي جامعة بكين، جامعة الدراسات الأجنبية ببكين، وجامعة شانغهاي للدراسات الدولية ، تقدم برنامج الدكتوراه

بتخصص اللغة العربية.

أَما المعاهد الإسلامية العشرة فهي من نظام التربية الدينية، وأنشات على مستوى المقاطعات، معظم خريجينها يعمل في مجال الدين، وموجزها كما يلي:

اسم المعهد الاسلامي	(وقت الإنشاء) عام	(النظام التعليمي)سنوات
المعهد الإسلامي الصيني	١٩٥٥	٤
المعهد الإسلامي ببكين	١٩٨٢	٤
المعهد الإسلامي بشينجيانغ	١٩٨٣	٥
المعهد الإسلامي بكونمينغ	١٩٨٤	٤
المعهد الإسلامي بمدينة لانتشو	١٩٨٤	٥
المعهد الإسلامي بتشنغتشو	١٩٨٥	٤
المعهد نينغشي للعلوم الإسلامية	١٩٨٥	٤
المعهد الإسلامي بشنيانغ	١٩٨٧	٤
المعهد الإسلامي بتشينغهاى	١٩٨٧	(٤) البكالوريوس (٣) التدريب المهني
المعهد الإسلامي بخبى	١٩٩٢	٤

يقسم الباحث الجامعات والمعاهد العليا والمعاهد والمدارس المهنية باللغة العربية للمسلمين إلى أربع مناطق جغرافية: شمال شرق الصين، جنوب شرق الصين، شمال غربها وجنوب غربها.

شمال شرق الصين محرورها مدينة بكين وهي عاصمة الدولة. تقع أشهر وأفضل الجامعات في بكين، وتخصص اللغة العربية قد بدأ خطوته في هذه المنطقة مبكرا، وذلك في جامعة بكين ١٩٤٦م. في مدينة بكين ٧ الجامعات والمعاهد التي تقدم تعليم اللغة العربية، كلّها من المستوى الأول في نظام التعليم الصيني. أما المقاطع القريبة من بكين، فقد تم تأسيس العديد من الجامعات والمعاهد بعد التسعينيات.

منطقة جنوب شرق الصين تطلّ على البحر، وهي من أهم المناطق للتجارة الدولية. فيها ثلاث مدن مهمة: شانغهاي، هانغتشو، وقوانغجون. إن تخصص اللغة العربية في جامعة شانغهاي للدراسات الدولية هو أفضل وأقدم في هذه المنطقة، وتطورت الجامعة الأخرى بسرعة جدّا بفضل ازدهار تجارة التصدير والتوريد، والتعاون الاقتصادي المتزايد في السنوات الأخيرة.

أما غرب الصين، فهو أقل تقدما من جنوبها اقتصاديا، لكن يسكن معظم المسلمين الصينيين في هذه الأرض الشاسعة. إن تعليم اللغة العربية في شمال الغرب يزدهر في الجامعات والمعاهد العليا والمعاهد الإسلامية و المدارس المهنية على السواء. أعلى أمثال هو مقاطعة نينغشي ذات الحكم الذاتي، ثلث عدد سكانها من المسلمين، وتأخذ هذه اللغةَ بطاقة الثقافة الإقليمية لتكون جسرا بين الطرَفْ الصيني والعربي. وقد نظمت منتدى التجارة والاقتصاد بين الصين والدول العربية في عاصمتها ينتشوان، ومنتدى التعاون الصيني والعربي، ومنتدى رؤساء الجامعات الصينية والعربية والمؤتمرات والمنتديات الأخرى لتعزيز العلاقة بين الصين والدول العربية، ودفعت الاقتصاد الإقليمي إلى الأمام. في أرض شمال غرب الصين، توجد مئات المعاهد والمدارس المهنية لتعليم اللغة العربية، وعشر الجامعات والنيف. تهتم الحكومة بتخصص اللغة العربية. أما منطقة جنوب غرب الصين التي تمثّلها مقاطعة يونان فحالتها مختلفة، سيتطرق إليها الباب التالي.

تعليم اللغة العربية في مقاطعة يونان.

دخلت اللغة العربية إلى مقاطعة يونان مع دخول دين الإسلام بطريقة سلمية. نعرف أن دين الإسلام دخل الصين في عهد أسرة تانغ الإمبراطورية أي عصر خليف عثمان بن عفان(ر ض)، عند زيارة السفير الديبلوماسي المبعوث من الخليفة عثمان للإمبراطور تانغ

٦٥١ م. ثم انتشر الإسلام مع قدوم التّجار المسلمين تحت سياسة حرية الأديان التي كان يتبعها الإمتراطور تانغ في ذلك الوقت. هؤلاء المسلمون من الشرق الأوسط قد تعوّدوا على حياتهم في الصين، وتزوجوا بالصينيات وتعلموا اللغة الصينية والثقافة الصينية وهم أجداد المسلمين الصينيين الحاليين. من أولى المدن التي نشأ فيها الإسلام وعاش فيها التجّار المسلمون هي مدن كبرى سياسية وتجارية: يشنغ ان (العاصمة)، ولوريانغ، كافينغ في وسط البلاد و تشيوانتشو، هانغتشو، قانغتشو، ويانغتشو، تحتوي كل هذه المدن الأربعة الأخرة ميناء كبيرة في شرق الصين وتطلّ على المحيط الهادئ.

أما يونّان في القرن السابع فهي بعيدة عن مركز الاقتصاد والسياسة، اعتبرت منطقة غير متحضرة بسبب مواصلاتها الصعبة، وكان تحكم المنطقة مملكة نانجوا التابعة لإمبراطورية تانغ. على الرغم من ان هناك بعض الآثار الإسلامية من إمبراطورية تانغ في يونّان أشهرها لوحة خشبية كتب عليها كلمة "مسجد" بالصينية (清真寺) بقلم حاكم البلد جين يوالان، معظم الآراء الأكاديمية تؤكد أن دخول الإسلام يونّان هو في عهد إمبراطورية يانغ. لأن هجرة المسلمين إلى يونان بكمية كبيرة وسكنهم فيها كان في إمبراطورية يانغ. هنا لا يستغنى ذكر اسم سيد شمس الدين، ملك شيانيانغ (١٢١١-١٢٧٩م). عيّنه الإمبراطورُ حاكمَ مقاطعة يونّان ١٢٧٤ م، وهو سياسي مشهور، مسلم ،من نسل النبي محمد(ص) بعد ٣١ جيلا. تولى سيد شمس الدين وبنوه الأربع وحفائده المناصب المهمة في مقاطعة يونّان وساهموا في تنمية الإسلام، ووضعوا حجرة الأساس لنشأة الإسلام وانتشاره لمئات السنين بعد إمبراطورية يانغ. سجل التاريخ بناء أكثر من ١٢ مسجدا في عاصمة المقاطعة مدينة كون مينغ، وتم تشكيل أحياء المسلمين والجمعية الإسلامية في عدّة بلدات المقاطعة. في معظم الأحوال، سكن مسلموا يونّان قربَ الحصن العسكري، ملتقى الطرق المهمة في المواصلات الشعبية والجيشية، وغالبا ما يكون محور هذا الحي هو المسجد. وهذا الشكل الأصيل قد ترك أثره في توزيع المسلمين اليوم. فنجد ان نسمة المسلمين يتوجدون في ١٤ مدينا و١٢٧ حيا، وعدد سكان المسلمين الإجمالي قد بلغ ٧٠٠ ألف نسمة، الخامس في جميع المقاطعات بعد شينجيانغ، وقانسو، ونينغشيا، وتشينغهاى.

نهضة الكتاتيب في عهدي مينغ وتشنغ في مقاطعة يونّان.

أما بداية انتشار اللغة العربية في المقاطعة فقد بدأ مع مجيء الإسلام إليها وهو التعليم في المنزل في البداية: من الآباء إلى الأبناء أو من الأزواج المسلمون إلى زوجاتهم التين اعتنقْن الإسلام قبل الزواج. لم يظهر تعليم اللغة العربية في المساجد أي الكتاتيب في الصين إلا بعد ١٣٦٨م، حيث أدمج الإمام هو دنغ جو التعليم الصيني التقليدي بالكتاتيب العربية، وأنشأ أول كُتَّاب صيني في مقاطعة شان شي التي تُعلَّم فيها اللغة العربية. ازدهر هذا النوع من تعليم العربية من شان شي إلى أنحاء الصين بمرور مئات السنين بعد هو دينغ جو، وهو يعتبر جزءا مهما في نظام التعليم اللغوي وطنيا وقوميا حتى اليوم.

في إمبراطورية يوان، أي العصر قبل منيغ، كان معظم المسلمين يتقنون باللغتين العربية والفارسية، ويفهمون المؤلَّفات الدينية الكلاسكية التي من سهل شراءها في السوق. لكن في أسرة مينغ اي وقت وُلد فيه هو دينغ جو، طبقت الحكومة سياسة تصيين القوميات غير قومية هان، فاندحرت في ذلك الوقت مكانة الإسلام واللغة العربية في المجتمع حتى بين أبناء المسلمين. ففي عهد مينغ، قد ندر عدد الكتب عن اللغة العربية والإسلام، وقليل من أبناء المسلمين يستطيعون قراءة اللغة العربية والفارسية وكتابتهما، فيقرؤون المؤلفات الإسلامية بالألفاظ الصينية لكن لم يفهمون معناها.

فهذه البيئة التي ولد فيها إمام هو دينغ جو (١٥٩٧-١٥٢٢م)، اسمه العربي الكامل هو محمد عبد الله الياس. ولد في أسرة غنية من التجار المسلمين ، قد درس المعلومات عن فكرة الكونفوشيوس ودين الإسلام منذ صغره في العائلة. بعد أن كبر فتعلم اللغة العربية واللغة الفارسية على يد الإمام قاو. في طريقه إلى بكين، قيل إنه قد قابل سفيرا مسلما أجاب أسئلته عن الإسلام وأضاء ذهنه.أهدى هذا السفير مجموعة من الكتب النادرة إلى الإمام هو فيها الكتاب ((المقامات)). مكث في بكين للعمل وخلال بقائه فيها جمع الكتب عن فلسفة كنفشيوس في عهده أسرة مينغ وبدأ القيامة بالمقارنة بين الثقافة الصينية والإسلامية، فأخذ نهضة التعليم الإسلامية وتربية الجيل القادم على عاتقه. وعزم بفتح الكتاتيب لتربية أجيال المسلمين القادمة وبإحياء اللغة العربية مرة أخرى في وقته حيث كان عانى شباب المسلمين من قلة المعرفة باللغة وعلوم الدين. أقام الإمام هو دينغ جو كتّابه في بيته في البداية وعدد الطلاب قد بلغ مائة، أشهرهم سيد فنع وها. وثم

انتقل إلى المسجد القريب. فجاء إليه الشباب من القريب والبعيد للتعلم منه ورحّبه الإمام هو دينغ جون بكل سرور لنشر العلوم بين أبناء المسلمين. بعد إكمال الطلاب دراستهم في كتاب الإمام هو دينغ جو، سافر إلى المناطق الأخرى لنشر العلوم ومواصلة طلبها. سمي الطالب في الكتاتيب "خليفة" في يونّان، و"ملا" من اللغة التركية في منطقة شمال غرب الصين.

تُعلَّم اللغة العربية في هذا نوع من الكتاتيب وأيضا تعلم فيها اللغة الفارسية والنحو، والصرف، والتجويد، والمعلومات الإسلامية الاخرى. في معظم الأحوال، يكون مسجد الحيّ مقرّ الكتاتيب، وفي كل كتاب الإمام أو المعلم الواحد وقد يخص له مساعد ويكون في كثير الأحيان أحد طلابه. المصدر الاقتصادي للكتاتيب هو من زكاة المسلمين. وكان نظام التعليم في الكتاب حرا إلى حد ما خاصة في وقت الالتحاق ومدة الدراسة. وقد تتراوح فترة الدراسة ما بين ثلاث سنوات وعشر سنوات.ويكون التخرج متوقفا على موافقة الإمام، وان يكون الخريج مؤهلا ليكون إماما فيما بعد. وبعد التخرج، فإما أن يرجع إلى بلدته ليكون إماما فيها وإما ان يتوجه إلى كتاب اخر لطلب العلم. فهذا النظام قد أسرع تبادل العلوم والخبرات بين شمال الصين وجنوبها، وبين منطقة المسلمين ومنطقة قوم هان. فسرعان ما انشترت الكتاتيب من شان شي إلى المناطق الأخرى، وأصبحت يونّان وشان شي ومقاطعة شان دونغ في الشرق أكبر ثلاثة مزاكر للعلوم الإسلامية بفضل كتابها الكثيرة والمتقدمة.

على الرغم من ان المسلمين الصينيين قد تأثروا بثقافة هان تأثيرا واسعا في لغتهم ولباسهم وبعض عادتهم، فإن نواة ثقافتهم هو الإسلام. قام العلماء المسلمون بإصلاح الدين في عهدي مينغ وتشنغ، أي وصف بعض الأفكار الإسلامية من النظرة الصينية التقليدية وذلك لا يخالف دين الإسلام بل يساعد على اندماجه مع الثقافة الصينية. أو من جهة أخرى، ترك الانطباع الصيني على الثقافة الإسلامية في الصين ليجعلها تعبيرا حيا لهتين الثقافتين. هؤلاء العلماء الكبار معظمهم من جيانغنان (جنوب الصين قرب دلتا نهر اليانغتسى)، ويونّان، أشهرهم العالم وانغ يو دان الذي ألّف ((شرح الدين العادل)) بالصينية. جهود هؤلاء العلماء قد ذلّلت بعض التشويه وسوء الفهم من التيار الرئيسي في المجتمع ضد الإسلام والمسلمين واللغة العربية، وأوضحت أن المدرسة الإسلامية او الكتاتيب الصينية في المساجد قد جنت ثمارها في أقلّ من مائة سنة منذ نشوئها. لأن معظم هؤلاء العلماء هم من طلاب الكتاتيب بعد ٣ أو ٤ أجيال من الإمام هو دينغ جو. مثلا يوسف ماجو، جاء بعد وانغ يو دان، وهو من العلماء المسلمين الكبار في يونّان، ألف ((دليل الحلال)) يشرح عقائد الإسلام من منظور الكونفشيوس الصيني وسافر إلى كل أنحاء يونّان ليتعلم ويعلم.

لننقل أنظارنا إلى يونّان،

ذكرنا فما سبق، أن إمبراطرية يوانغ هو مرحلة مزدهرة في التاريخ لنشر الإسلام في يونّان. لم يسجّل التاريخ وقتا محدّدا لدخول الكتاتيب إلى يونّان، لكن من الملاحظ أن النقش على قبر ما جيا (Ma Ju) في مسجد ويشان قد أثبت وجود الكتاتيب في أواخل عهد مينغ. ينقش عليه" ما جيا طالب للأستاذ ها والأستاذ وانغ، بدأ تعليم العقائد في جنوب يونّان وتوفي في ١٥٩٨ م" ، هذا يثبت أن انتشار الكتاتيب في يونّان هو قبل ١٥٩٨ م.

دخلت اللغة العربية إلى المدارس الحديثة في أوائل القرن العشرين تزامنا مع ثورة شين هاي، وحركة الرابع من مايو، تعلم في هذه المدارس الابتدائية أو الثانوية الإسلامية اللغة العربية واللغة الصينية في آن واحد، وقد أعدت الرواد في هذا المجال في الصين، منهم أستاذ محمد مكين، وأستاذ عبد الرحمن ناجون، وأستاذ نانشون وكلهم من مقاطعة يونّان. فقام هؤلاء العلماء الشباب بإصلاح التعليم في يونّان بعد دخول القرن العشرين ليجعلها لغةً عُضوية وينقلها إلى المدارس الحديثة الاقليمية.

الوضع الحالي لتعليم اللغة العربية في مقاطعة يونّان

في الوقت الحالي اذا سمع شخص عن يونّان، فهو يعرف أنه تحدها الدول الثلاثة: ميانمار، فيتنام، لاوس، وبلغ مساحتها ٣٩٤ ألف كيلومتر مربع. وبفضل هذا القرب الجغرافي يرحب الناس في المقاطعة بتعلم اللغات الآسيوية الجنوبية والشرقية. أما الدول العربية التي تقع في الشرق الأوسط فهي بعيدة جدّا جغرافيا عن يونّان، ويونّان ليست من المنوانئ المهمة في الصين باعتبارها مقاطعة في الداخل،

والتجارة بينها وتلك الدول ليست محور تنمية الاقتصاد للإقليم. على الرغم من ذلك، توجد الاف الطلبة في يونّان الان وهم يدرسون اللغة العربية. معظمهم يتعلمونها في المعاهد الإسلامية أو الكتاتيب. ففي رأي الباحث، عن أسباب وجود عدد كبير من الطلاب يدرسون اللغة العربية في المقاطعة وأن هذا العدد لا يزال يزداد نسبة للأسباب الثلاثة التالية:

١. ضرب دين الإسلام جذوره في يونّان منذ تاريخ عميق :

ينتمي مسلمون يونّان إلى قومية هوي التي ورثت تقاليد التعليم القومية منذ مئات السنوات . ويُقدرون بحوالي ٧٠٠ ألف مسلم يسكنون في يونّان الان، يرجع نسبهم إلى سيد شمس الدين، حاكم المقاطعة في إمبراطورية يوانغ. في فترة حكم سيد شمس الدين وابنه وحفيده، دخل المسلمون يونّان كجماعة وانتشر الإسلام في ربوعها بسرعة. وبفضل الأوضاع السياسية الآمنة والحرية، يتمتع المواطنون المسلمون بالمستوى الاجتماعي العالي، فهم يعملون في مكاتب الحكومة و التجارة، وأسسوا بيوتهم في كافة انحاء المقاطعة. على الرغم من ان مكانة المسلمين قد انخفضت في المقاطعة بعد فترة حكم سيد شمس الدين، وهُجر المسلمون إلى جنوب يونّان وشمالها بسبب الاضطرابات السياسية أو طلب الرزق، إلا أنهم يعرفون أنهم من أبناء سيد شمس الدين وهو جدّهم وبطلهم وشرفهم، فهذه الحقيقة لا جدال فيها.

سريعا بعدما أسس الإمام هو الكُتّاب الأول في شان شي، نشر طلابه بالجيل الأول والجيل الثاني هذا النوع من التعليم اللغوي والديني في يونّان. أضف إلى ذلك، تسير يونّان في رأس مسيرة العصر لإصلاح الكتاتيب التقليدية منذ مئات السنين، سواء أن كان في حركة شرح الدين بالفكرة الكونفشيوية في عهدي مينغ وتشنغ، أو إصلاح الكتاتيب التقليدية إلى المدارس الحديثة التي تعلم فيها اللغة العربية والصينية في بداية القرن العشرين.

٢. سدّ تعليم اللغة العربية في الكتاتيب الحاجة الدينية لمسلمين يونّان

أكبر سمتين لقومية هوي هي عبادة الله وتكلم اللغة الصينية. قد تبنوا اللغة الصينية بدلا من العربية أو فارسية بعد مئات السنين من العيش في أرض الصين والتزاوج من الصينيات. لكن يتطلب منهم الدين تكلم اللغة العربية في المناسبات الدينية كالصلوات الخمس كل يوم، ويتطلب منهم حفظ القرآن الكريم أو بعضه. إن الاحوال المادية في الماضي قد منعت الكثير من المسلمين خاصة الذين سكنوا في القرى من أخذ التعليم الرسمي النظامي، فاستخدموا الألفاظ الصينية في هذه المناسبات لكن لم يفهمون معناها. مع مرور الزمن ورفع مستوى معيشة الشعب الصيني، وتزايد الدخل العائلي في ٤٠ عاما الأخيرة، قد أحسّ أولياء الأبناء بضرورية إرسالهم إلى الكتاتيب أو مدارس اللغة العربية لأخذ الدروس.

من جهة أخرى، قد غيّر التحضر الهيكلَ السكاني. فقد كان المسلمون يسكنون حول مساجد الأحياء، ويقومون بنشاطات حياتهم التي يكون محورها المسجد. لكن في الوقت الحاضر، هاجر عدد غير قليل من أهل القرى إلى المدن لطلب العمل والتمتع بالموارد التعليمية الأفضل، فقد كُسر الهيكل القديم للسكن. لم يعد أحدهم يعرف جيرانه ولم يعد يقترب من أي مسجد أو كتاب. فأصبح الخروج من الحي للبحث عن الكتاتيب الممتازة لازما لكي يدرس فيها أو يرسل ابنه إليها، وكهذا قد مُنِحت فرصة لتطور الكتاتيب التي تقع في المدن او هامش المدن. ترك التحضر تأثيره على الهيكل السكاني في القرى أيضا. لم تتغير البيوت والطرق في القرى، لكن قد صدّرت قوة العمل الكبيرة من القرى إلى المدن لبناء العمارات والمرافق. ففرغت البيوت في القرى من الناس، أو سكن فيها العجائز والأطفال فقط. لم تعد تزرع الحقول، ولم تعد تزار المساجدُ. قد أصبح الإمام من يقرأ بضع أيات في المناسبات. ونسي الناس الكتاتيب في هذه المساجد، وفقدت وظائفها الاجتماعية . فهذه الحقيقة تتهدد الكتاتيب للقيام بالإصلاح لتصبح كالمدارس الحديثة التي يتوجد فيها الطلاب بكثافة، وتوفّرالموارد الدراسية المتنوعة ذات الفعالية العالية.

٣. يساعد التعليم في الكتاتيب الشباب على البحث عن العمل

الكتاتيب بعد الإصلاح أي بعد الثمانيات من القرن العشرين، جمعت اللغتي العربية والصينية في برنامجها، وتتعلم من الجامعات

الأكاديمية في خطة التربية. استخدمت الكتب التقليدية الموروثة من اباءهم، واستخدمت كذلك الكتب الجديدة من جامعة بكين وجامعة اللغات الأجنبية ببكين في تخصص العربية، لان كتبها حديثة وحيوية. فالطلاب بعد تخرجهم من الكتاتيب في الوقت الحاضر، يستطيعون أن يجدوا عملا أو وظيفة مناسبة في سوق العمل أو أن يمارس التجارة الدولية او السياحة، او الترجمة. والبعض منهم قد أسس شركته الخاصة وساهم في بناء اقتصاد الوطن.

فنقول إن كثرة عدد طلاب العربية في يونان في الوقت الحاضر له أسباب تاريخية وأسباب معاصرة.

التحديات التي تواجهها مقاطعة يونان في تعليم اللغة العربية

على الرغم من ان هذه المقاطعة كانت بارزة في تعليم اللغة العربية والتربية الإسلامية، تواجه المقاطعة بعض التحديات الجديدة في تعليم اللغة العربية، منها تخلف نسبة عالية من الطلاب عن الدراسة، ونقص الأساتذة وعدم الدعم من الحكومة المحلية وغيرها من الأسباب. مثلا في الجامعات الإقليمية، أنشأت جامعة يونان تخصص اللغة العربية في ٢٠٠٢م، وتوقفت في ٢٠٠٦م بسبب مجهول. وحتى الان نجد ان جامعة يونان النموذجية، ومعهد الآداب و العلوم بجامعة يونان النموذجية قد أسّست اختصاص اللغة العربية فيها في المقاطعة. وهذا عدد الجامعات التي تعلم فيها اللغة العربية أقل بكثير مما في المناطق الأخرى. وتواجه المعاهد الإسلامية والمدارس المهنية للمسلمين هنا التحديات الكثيرة أيضا، منها قلة الطلاب ونقص الأساتذة وعدم الدعم من الحكومة الإقليمية من أجل مكانتها الجغرافية والاقتصادية. يقدم الباحث ثلاثة اقتراحات من خلال الزيارة الميدانية ولقاء عدد من الأساتذة وعمل الاستبيان للطلاب: العمل على تعزيز التعاون بين الجامعات والمعاهد وتقليص الفجوة من مختلف المناطق الصينيّة، إعداد مواد دراسية متنوعة تتناسب مع الخلفية الثقافية المختلفة للطلبة من المناطق المختلفة، وإعداد الكفاءات تماشيا مع سياسة الوطن، واحتياجات الطرفين الصيني والعربي لها.

الخاتمة

ان تعميق التعاون بين الصين والدول العربية أساسه التعليم اللغوي. شهدت الصين والدول العربية زيادة متصاعدة في الحجم التجاري الثنائي وتوسيع نطاق التعاون بدلا من التبادلات التجارية في مجال البترول والغاز وحده في السنوات الأخيرة، بل قد امتدت إلى تعميق الحوار بين الحضارات، وتسريع التبادلات الثقافية، وتعزيز التواصل الشعبي. وكل هذه وسيلتها اللغة. فنقول اللغة العربية في هذه الحالة هي جسر، وحاجز في آن واحد. من خلال هذا البحث، نعرف كيف بني هذا الجسر منذ قديم الزمان، وما هي التحديات والمشكلات تحجزنا في الوقت الحاضر نموذج مقاطعة يونان، حتى نعبر إلى الضفة المقابلة عبرها.

المراجع

١. يه ليانغ ينغ. اختبارات اللغة العربية في الصين واقعها وتصوراتها المستقبلية [J]. صحيفة فيلولجي النسخة العربية، ٢٠١٢، ٥٧(١).

٢. رمضان. مشكلة تعليم اللغة العربية ومنهج تعليم المهارات [J]. Al-Istiwa، ٢٠١٤، ٢.

٣. معضلات تعليم اللغة العربية في الجامعات التركية [J]. صحيفة فيلولجي النسخة العربية، ٢٠١٢، ٥٧(١).

٤. دينغ جوان. دراسات حول تعليم اللقاب العربية في الصين قديما وحديثا [M]. دار العلوم الاجتماعية الصينية، ٢٠١٣.

٥. بسام شوي تشينغ قوه. اللغة العربية في الصين الحديثة

[J]. Alimi Journal of Arabic Studies، (١) ١، ٢٠١٤.

٦. Islam in the world of Yunnan Muslim Yunnanese identity in nineteenth century Yunnan [J]. Journal of Muslim Minority Affairs، April ١٩٩٧، Vol.١)١٧)، p.٣٠-٩